



تطور عبادة مريم وتألمها في المصادر المسيحية المبكرة

The Development of the Cult of Mary and Her Deification in the Early Christian Sources

ط.د/ محمد لمين إبراهيم¹ د/ كمال معزي²

¹ جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

مخبر البحث في الدراسات العقدية ومقارنة الأديان.

mohamedlamine.iberraken@gmail.com

² جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة،

drkamel.maazi@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/10/11 تاريخ القبول: 2021/12/07

Abstract

One of the most important figures in Christianity is the virgin Mary, and one of the christian controversies surrounding her is: did the respect she recieved made any christian worship her and think of her as divine ? or that this has never happened by any Christian as some researchers claim, thus, the Qur'an was wrong when it said that some Christians believed her to be divine?, or that some christians really worshiped her but that

happened only after the council of Ephesus or Chalcedon as others claim? This is what this study attempts to investigate and answer.

After examination and analysis of the most important Christian sources written about Mary from the first century AD to the fifth, we have found that the first text addressed to her directly as a worship is what was reported in the papyrus named "Beneath your Preservation" at the end of the third century AD, and that there was a Christian sect in the Arabian Peninsula in the fourth century AD called Kollyridianism who believes that she is a goddess and worshiped her by various types of worship, exactly as the Holy Qur'an claimed.

المؤلف المرسل: محمّد لمين إبراقن.

البريد الإلكتروني: mohamedlamine.iberraken@gmail.com

Keywords

The Worship of Mary ; The Deification of Mary ; Christian Sources ; Beneath your Protection Papyrus ; Kollyridianism.

الملخص

من أهمّ الشخصيات التي تمّ تعظيمها وتبجيلها والرفع من مقامها في الديانة المسيحية هي مريم العذراء أمّ المسيح عليه السّلام، والجدل الواقع حولها هو: هل هذا التّعظيم أدّى بالبعض إلى عبادتها وجعلها إلهة مع الله؟ أم أنّ هذا لم يحصل من أيّ مسيحيّ قطّ كما يقول بعض الباحثين، وبهذا يكون القرآن قد أخطأ حينما نسب اتّخاذها إلهة من قبل بعض المسيحيّين؟ أو أنّها تمّ عبادتها حقًا لكن لم يحدث ذلك إلّا بعد مجمع أفسس أو مجمع خلقدونية كما يقول آخرون؟ هذا ما تحاول هذه الدّراسة التّحقيق فيه والإجابة عنه.



بعد استقرار وتحليل أهم المصادر المسيحية التي كتبت عن مريم العذراء بداية من القرن الأول إلى القرن الخامس الميلادي توصلنا إلى أن أول نص توجه لها بالعبادة المباشرة هو ما ورد في البردية المسماة بـ"تحت حفظك" في نهاية القرن الثالث الميلادي، وإلى أنه كانت هناك طائفة مسيحية في شبه الجزيرة العربية في القرن الرابع الميلادي تسمى بالقوليريديانية تجعل مريم هي الإلهة كاملة الألوهية مكان الله وتعبدها بشتى أنواع العبادة، موافقا لما جاء به القرآن الكريم في دعواه.

الكلمات المفتاحية

عبادة مريم؛ تأليه مريم؛ المصادر المسيحية؛ البردية تحت حفظك؛

القوليريديانية.

1. المقدمة

تعتبر مريم العذراء من أعظم الشخصيات في الديانتين المسيحية والإسلام، يلقيها المسيحيون بأم الإله، ويعتقدون أنها دائمة البتولية، وأنها الشفيعة، وبعضهم يؤمن بعصمتها من الخطيئة الأصلية وأنها رُفعت إلى السماء بعد وفاتها بجسدها وروحها.

أما في الإسلام، فلم يُعتقد في مريم أكثر من كونها أم أحد أولي العزم من الرسل وأفضل نساء العالمين، ومن العلماء من قال بنبوّتها من أجل نزول الوحي عليها.

ويدعي المسيحيون التمسك بوحداية الله وأنه هو وحده المستحق للعبادة دون أحد من خلقه مهما عظم شأنه ورُفع من مقامه، إلا أن هذا لم يمنع بعض الأتباع الوقوع في الغلو والتعظيم إلى درجة صرف العبادة لغير الله، بل واعتقاد

الألوهية فيه، ومن الشخصيات التي وقع الجدل حولها وهل حقاً تمّ عبادتها وتأليها من قبل المسيحيين هي مريم العذراء.

إشكالية البحث

كثير من المسيحيين يُنكرون أن تكون مريم العذراء قد اعتقد أنّها إلهة من قبل أيّ مسيحيّ وفي أيّ زمن من الأزمنة، خاصّة قبل ظهور الإسلام، ويعتبرون القرآن قد أخطأ حينما قال: (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (116) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلِيمٌ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلِيمٌ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) (المائدة: 116-117)، يحتجّون بها كدليل على أنّ القرآن أخطأ في دعواه أنّ هناك من اعتبر مريم العذراء إلهة، يقول بعضهم معترضاً على الآية السابقة: "... لم يقل مسيحيّ حقيقيّ قطّ إنّ العذراء مريم إله (مع كلّ التّقدير والمحبة لها)..."⁽¹⁾

ويخالف دعوى أنّه لم يوجد مسيحيّ قطّ يقول بأنّ مريم إلهة اعتقاد بعض المسيحيين بوجود من يعبد مريم ويؤلّها، يقول أحدهم: "... يرجع السّبب الرئيسيّ لدخول بدعة تأليه العذراء وعبادتها إلى الكنيسة الأرثوذكسيّة إلى البابا كيرلس الأوّل... قتنّ هذا اللّقب (والدة الإله) في مجمع أفسس المسكونيّ الثالث 431م ووضعه في صلاة رسميّة أدخلها إلى طقس الكنيسة الأرثوذكسيّة وتُسى مقدّمة قانون الإيمان ونصّها هو: ((نعظّمك يا أمّ التّور الحقيقيّ ونمجّدك أيّها العذراء القديسة مريم والدة الإله...))⁽²⁾، فهو يقرّر أنّ هناك من المسيحيين من عبد مريم،



ويُرجع بداية ذلك إلى القرن الخامس الميلاديّ بعد قرار مجمع أفسس سنة 431م،
أما قبل هذه الفترة فلم يتم أحد بعبادتها في نظره.

وهناك من المسيحيين من يُرجع ظهور طائفة مسيحية تعبد مريم العذراء إلى
مجمع خلقدونية سنة 451م، تقول أحد الباحثات: "تشير الدلائل الموجودة حول
بناء المقدّسات المريميّة وإقامة أعيادها في القسطنطينيّة إلى أنّ مجمع خلقيدونية
اللاحق (أي بعد مجمع أفسس) سنة 451م، ربّما لعب دورا أكثر أهميّة في تأسيس
وتعزيز الدّولة لعبادة والدة الإله (مريم)."⁽³⁾

فهل حقًا لم يعتقد أيّ مسيحيّ قطّ بأنّ مريم العذراء إلهة كما يقول معظم
المسيحيين الأرثوذكس والكاثوليك؟ أو الصّحيح أنّ تأليها وعبادتها بدأ مع كيرلس في
مجمع أفسس في القرن الخامس الميلاديّ كما يقول البعض الآخر؟ أو أنّ ذلك كان مع
مجمع خلقدونية سنة 451م؟ وهل وجود من يعبدها من المسيحيين يعني أنّه اتّخذها
إلهة؟ هذه هي الأسئلة والإشكالات التي تحاول هذه الدّراسة الإجابة عنها.

هدف البحث وحدوده

تهدف الدّراسة إلى البحث عن مسيحيين أو طائفة منهم كانت تعبد مريم
العذراء وتؤلّمها، وذلك سيكون بتتبّع عقيدة تأليه مريم العذراء وعبادتها في الكتابات
المسيحيّة المتنوّعة (المقدّسة والمنحولة) ومن مختلف الطوائف (الأورثوذكسيّة
والهرطوقيّة) بداية من القرن الأوّل إلى غاية القرن الخامس الميلاديّ قبل ظهور
الإسلام؛ لغرض التّحقّق من دعوى عدم وجود من جعلها إلهة أو أنّ عبادتها قد بدأت
في القرن الخامس الميلاديّ (زمن مجمع أفسس 431م ومجمع خلقدونية 451م).

فالدّراسة لن تتحدّث عن العقائد المريميّة الأربعة التي تؤمن بها معظم الكنائس التقليديّة (عقيدة عصمة العذراء وبتولها الأبديّة وتلقيها بأمر الله وانتقالها إلى السّماء بالروح والجسد) وكيفية ظهورها وتطوّرها، وإنّما ستقتصر على البحث عن تأليها وعبادتها فقط من القرن الأوّل إلى القرن الخامس الميلادي.

الدّراسات السابقة

من الكتب الإسلاميّة التي بحثت عن هذه المسألة كتاب "عبادة مريم في المسيحيّة والظهورات المريميّة" للباحث معاذ عليان الذي تحدّث فيه عن أنواع العبادات التي تقدّم للعذراء في الكنيسة الكاثوليكيّة والأرثوذكسيّة المعاصرة، لكنّه لم يتحدّث عن تطوّر عبادتها في التّاريخ المسيحيّ المبكر، وإنّما اقتصر على ذكر نماذج قليلة من أقوال بعض الآباء الذين اعتقدوا أنّها أمّ الإله، واعتبر ذلك كافٍ للإجابة عن إشكاليّة وجود من اعتبرها إلهة كما قال القرآن.

منهج البحث

كي يتمّ الوصول إلى إجابة مرضيّة للإشكاليّة المطروحة لا بدّ من استعمال المنهج الاستقرائيّ في تتبّع نصوص أسفار العهد الجديد وكتابات آباء الكنيسة والأدب المسيحيّ المبكر من القرن الأوّل إلى القرن الخامس الميلاديّ باحثين عن نصوص تصرّح بعبادة مريم وتأليها، وكذا الاعتماد على المنهج التحليليّ في شرح وتفسير النّصوص التي سيوقف عليها، وهذا ما سرنا عليه في هذا البحث.

2. عبادة مريم وتأليها في مصادر القرن الأوّل الميلادي

1. رسائل بولس الرّسول



أول وأهم مصدر من مصادر الديانة المسيحية هو العهد الجديد بأسفاره السبعة والعشرين، أقدمها كتابة هي رسائل بولس الرسول، ولم يرد في أي منها ذكر اسم مريم أصلاً، فلم يهتم بها بولس ولم ير أي أهمية لها فيما يخص اعتقاد المسيحيين.

2.2. إنجيل مرقس

يتلو رسائل بولس كتابة إنجيل مرقس، وهو يعتبر أول من ذكر اسم مريم، وهذا في قوله (مرقس 6: 3): "أما هو النجار ابن مريم، وأخو يعقوب ويوسي ويهوذا وسمعان؟ أما أخواته عندنا هنا؟" ورفضوه، ولم تذكر في غير هذا الموضع الذي لم يتحدث عنها أصالة، بل جاء في سياق التعريف بيسوع الذي رفضته الناصرة.

2.3. إنجيل لوقا وأعمال الرسل

ويأتي بعده إنجيل متى الذي أورد قصة ولادة مريم العذراء ليسوع المسيح بالتفصيل (ينظر: متى 1: 18-23)، وهو يعد أول من لقب مريم بالعذراء وذلك في قوله (متى 1: 23): "ستحبل العذراء، فتلد ابناً يدعى «عمانوئيل»، أي الله معنا." في نفس الفترة التي كتب فيها متى كتب لوقا إنجيله وأعمال الرسل، وهو أكثر من تحدث عن مريم مقارنة بالإنجيل الأخرى، فنجده قد بدأ قصة حياة يسوع المسيح بالحديث عن ولادة مريم العذراء له (لوقا 1: 26-38)، ثم ذكر لقاءها مع أم يوحنا ومباركتها لها (لوقا 1: 42، 45)، وجواب مريم لها بما يسمى بنشيد مريم الذي هو أول نشيد لها (لوقا 1: 46-55)، وفيه قالت عن نفسها: "جميع الأجيال ستهنئي" (لوقا 1: 48)، وبهذا تظهر أهميتها في إنجيل لوقا أكثر من غيره.

وقد كانت مريم موجودة مع يسوع في حادثة ختانه (لوقا 2: 21-38)، وفي قصّة تعليمه في الهيكل (لوقا 2: 41-52)، كما كانت تلتقي به أيضا حين دعوته مع إخوته (لوقا 8: 19-21).

أما الحديث عن مريم في أعمال الرّسل فلم تذكر إلا مرّة واحدة، حين اختيار التلاميذ خلفا لهوذا (أعمال الرّسل 1: 14).

2.4. إنجيل يوحنا

يأتي بعد إنجيل لوقا إنجيل يوحنا الذي ذكر حضور مريم في بداية دعوة المسيح وتبشيره (يوحنا 2: 1-11)، وقد صاحبتة إلى كرفناحوم وبقيت معه هناك وهو يكمل دعوته (يوحنا 2: 12)، ثمّ لم تذكر مرّة أخرى في إنجيل يوحنا إلى حادثة الصّلب (يوحنا 19: 25-27).

2.5. الخلاصة

نستنتج ممّا سبق عرضه من مصادر القرن الأوّل الميلادي أنّ المسيحيين الأوائل (فترة بولس ومرقس) لم يعطوا أيّ أهميّة لمريم ولم يذكروا انخراطها في دعوة المسيح، لكن في أواخر القرن الأوّل بدأ الاهتمام بها كما في الأناجيل متى ولوقا ويوحنا، وذلك بذكر مشاركتها ليسوع في بعض الأحداث، إلّا أنّه لم يقع في أيّ منها تعظيم لها أو عبادتها، فهي لم تُعبد من قبل المسيحيين في القرن الأوّل الميلاديّ ولا اعتقد أيّ منهم أنّها إلهة.

3. عبادة مريم وتألّيها في مصادر القرن الثاني الميلادي

بعد نهاية فترة العهد الجديد، بدأ المسيحيون بمختلف طوائفهم في كتابة رسائل وأناجيل كثيرة، منها ما كان معترف بقدسيّته في تلك الفترة كرسالة أكليمنديس



الرّومانيّ الأولى وكتاب الرّاعي لهرماس وغيرها من الكتب الّتي سمّيت في مرحلة لاحقة من قبل الطائفة الأرثوذكسيّة في مجمع نيقية 325م وما بعده بالأبوكريفيّة والمنحولة، ومن أهمّ هذه الكتب الّتي ظهرت في القرن الثّاني الميلادي والّتي تحدّثت عن مريم العذراء بشكل لاهوتيّ متطوّر هما: أناشيد سليمان وإنجيل يعقوب التّمهيديّ.

1.3. أناشيد سليمان (Odes of Solomon)

كُتبت أناشيد سليمان في بداية القرن الثّاني الميلادي، وهو عبارة عن كتاب صغير الحجم فيه أناشيد مسيحيّة، اكتشفه العالم راندال هاريس سنة 1909م في مخطوطة باللّغة السّريانيّة في التّخوم المجاورة لنهر دجلة، وهو يعتبر جزءاً من الأدب المسيحيّ المبكّر⁽⁴⁾.

مما ورد فيه وصف مريم في قوله (أناشيد سليمان 19): "قد وجدت أحشاء العذراء مخصبة، فحبلت وولدت، وصارت أمّاً مكرّمة، وحُظيت بمراحم كثيرة ونالت نعمة معظّمة"⁽⁵⁾، فوصفها بأنّ لها رحمت متعدّدة وليست رحمة واحدة فقط، وهذا يمكن أن يفهم منه أنّها ترحم غير ابنها كذلك، حتّى بعد وفاتها، فيجوز للمسيحيّين دعائها وطلب الرّحمة منها؛ إذ لها رحمت متعدّدة، وليس رحمة واحدة خاصّة بابنها المسيح.

لكن هذا يبقى مجرد استنتاج محتمل؛ إذ قد يكون صاحب الكتاب لم يكن هذا هو مقصوده أصلاً، وإنّما أراد فقط إبراز كثرة رحمتها بابنها، وهذا ما يؤكّده السّياق، فبقيّة النّشيد هو في ذكر حبّها لابنها وشفقتها عليه وإظهارها لعظمته⁽⁶⁾.

فلم يرد في أناشيد سليمان عبادة مريم أو دعائها بشكل مباشر، غاية ما فيه هو نصّ محتمل قد يفهم منه أنّ لمريم العذراء رحمت كثيرة، إلا أنّ السّياق لا يرجّح هذا الفهم.

3. 2. إنجيل يعقوب التّمهيديّ (Protoevangelium of James) (150م)

كُتب إنجيل يعقوب باللّغة اليونانيّة، وهو عبارة عن سيرة ذاتيّة لمريم العذراء، يعود إلى أواخر القرن الثّاني الميلادي حوالي 150م، وتسميته باسم "إنجيل يعقوب التّمهيديّ" جاءت من طرف محقّقه غيوم بوستل (Guillaume Postel) (ت 1581م) الذي أخرجه بترجمة لاتينيّة بهذا الاسم سنة 1552م، واسمه في أقدم المخطوطات اليونانيّة من القرن الرّابع هو "ميلاد مريم"، وهو الاسم المطابق لمحتوى الكتاب الذي يتحدّث في أغلبه عن حياة مريم من حملها بيسوع إلى ولادتها⁽⁷⁾.

هدف هذا الإنجيل هو تعظيم العذراء مريم وتبرئتها من اتّهام المتهمين لها بالرّزا، أهمّ ما ورد فيه عنها هو قصّة دعاء والدتها (حنّة) الله أن يهبها ولدا (إنجيل يعقوب 2)⁽⁸⁾، فاستجاب الله دعائها وبعث إليها ملاكا يبشّرها أنّها ستلد، فأجابت بأنّها ستقدّمه لله وسيكرّس حياته لخدمته، وقام زوجها يواكيم بنذر عشر نعاج للرّبّ (إنجيل يعقوب 4)⁽⁹⁾، وهكذا رزقها الله بنتا سمّتها مريم (إنجيل يعقوب 5)⁽¹⁰⁾، وبعد ستّة أشهر بدأت مريم في المشي، فقرّرت أمّها أن تذهب بها إلى الهيكل كما وعدت الرّبّ، ولما بلغت سنة من عمرها أقام أبوها وليمة، وقد دعى لها أمراء الكهنة الحاضرين حينها قائلين: "يا إله آبائنا، بارك هذه الطّفلة واعطها اسما يُعظّم في كلّ الأجيال"، وقال الكهنة: "يا إله المجد، اخفض أنظارك على هذه الطّفلة وامنحها بركة لا تعرف أيّ انقطاع." (إنجيل يعقوب 6)⁽¹¹⁾، ثمّ في السنّة الثّالثة من عمرها أُدخلت إلى الهيكل واستقبلها أمير الكهنة وقال: "يا مريم، إنّ الرّبّ أعطى اسمك



عظمة في كلّ الأجيال، وفي آخر الآيام، سيظهر الله فيك ثمن خلاص أبناء إسرائيل" (إنجيل يعقوب 7)⁽¹²⁾

فاسم مريم سيُعظّم في جميع الأجيال بحسب إنجيل يعقوب، وهي ستكون سبب خلاص بني إسرائيل، وهذا ما دفع المسيحيين في هذه الفترة لبداية تعظيم اسمها واعتقاد أنّها مباركة إلى الأبد؛ لأنّها سبب خلاص البشريّة جمعاء بولادتها ليسوع المخلّص.

لكن النصوص السابقة لم توضّح لنا كيف ستُعظّم الأجيال اسمها، ولا كيف كان يقوم المسيحيون الأوائل بذلك، فهي لا تصرّح بعبادة المسيحيين لمريم، لكنّها الخطوة الأولى لتعظيمها والرفع من شأنها.

نلاحظ ممّا سبق أنّ ما ورد في إنجيل يعقوب التّمهيدي هو استشراف لمستقبل مريم العذراء الذي سيعطيه الله لها وهو تعظيم الأجيال لاسمها وإعطائها بركة لا انقطاع فيها، إلّا أنّ هذه النصوص لا تصرّح بالكيفية التي سيذكر المسيحيون اسمها؛ لذا لا يمكن اعتبارها نصوصا داعية إلى عبادتها وتألّمها.

3.3. كتابات آباء الكنيسة عن مريم العذراء في القرن الثّاني الميلاديّ

لم يكن لمريم العذراء اهتمام كبير في كتابات آباء الكنيسة الأوائل، وأهمّ ما ورد عنها هو وصف القديس إيرينيوس (ت 202م) لها بأنّها حواء الجديدة، وأنّها "سبب

الخلاص"⁽¹³⁾، أي سبب خلاص نفسها وخلص البشرية جمعاء، وهذا فيه رفع لقدرها وأهميتها.

ويصفها أيضا بأنها "المدافعة عن حواء"⁽¹⁴⁾، وهذا يوحي أنّ لها القدرة على الشفاعة لها عند الله كما يقول بعض الكاثوليك، لكن قول إيرينيوس غير صريح في ذلك، بل غاية ما يدلّ عليه أنّها المدافعة عن حواء بكونها حواء الجديدة التي أصلحت خطأ زوجة آدم.

4.3. الخلاصة

النصوص المسيحية التي تحدّثت عن مريم في القرن الثاني الميلاديّ -مثل أناشيد سليمان وإنجيل يعقوب التّمهيديّ وكتابات القديس إيرينيوس- لم يرد فيها عبادة مريم بأيّ شكل من الأشكال، وما جاء فيها عبارة عن نصوص تصفها بأنّها كثيرة الرّحمات، أو أنّ اسمها سيُعظّم في كلّ الأجيال، أو أنّها حواء الجديدة وسبب الخلاص، وهي نصوص وصفية ليس فيها تقديم العبادة لها أو أنّها مستحقّة لذلك.

4. عبادة مريم وتأليهها في مصادر القرن الثالث الميلاديّ

الكتابات المسيحية التي اعتنت بمريم العذراء في القرن الثالث الميلاديّ كثيرة ومتنوعة، منها كتابات مسيحية شخصية، أي فردية وهي: ليتورجيا القديس باسيليوس، وبردية باسم "تحت حفظك"، ومنها كتب أبوكريفية مثل كتاب راحة مريم.

1.4. ليتورجيا القديس باسيليوس (نهاية القرن 3م)

"ليتورجيا القديس باسيليوس" عبارة عن دعاء يُستعمل في طقس الأفخرستا (العشاء الرّبّاني)، قيل أنّ أصله يعود إلى نهاية القرن الثالث الميلادي، ويقال أنّ



القديس باسيلوس (ت 379م) هو الذي أدخله إلى مصر سنة 357م⁽¹⁵⁾، ومما جاء فيه قول الكاهن داعيا الله بقوله: "... خاصة في جميع الأوقات مريم المقدسة والمجيدة، أم الإله، ارحمنا جميعا بسبب صلواتها."⁽¹⁶⁾

ويلاحظ أن مريم في هذا النص ليست هي التي يدعوها الكاهن والجموع، وإنما هي الواسطة المتوسل بها كي يستجيب الله لهم ويرحمهم، فهذا الدعاء غير مقدم لمريم العذراء، وإنما لله، وقد توسل الداعي بها تقرباً إلى الله وليس طلباً منها الإجابة، فهو دليل على أن مريم شفيعة للمسيحيين، وليست هي المقصودة بالدعاء والعبادة؛ لذا لا يمكن اعتبار هذا النص دليلاً على أن مريم قد عبدت في هذه الفترة من خلال ليتورجيا القديس سابيلوس.

2.4. البردية "تحت حفظك" (Sub Tuum Praesidium)

وقف أصحاب مكتبة جون ريلاندس (John Rylands Library) بمنشستر المتخصصة في جمع البرديات على بردية برقم 470 فيها صلاة مسيحية طبعت سنة 1938م، وهي تعود إلى نهاية القرن الثالث الميلادي (أو القرن الرابع)، كتبت باللغة اليونانية⁽¹⁷⁾، وتسمى أيضا بأول كلماتها اللاتينية التي وردت فيها، أي بالبردية "تحت حفظك"؛ لأنها بدأت بجملة "تحت حفظك".

وهذه الصلاة المسيحية التي تحتوي عليها هي صلاة مقدمة لمريم العذراء، جاء نصها كالآتي:

"نلتجئ إلى رحمتك يا أم الإله، لا تتغاضي عن التماساتنا في الشدائد، لكن انقذينا من الأخطار، أنت الوحيدة (المقدسة والمباركة)."⁽¹⁸⁾

والملقبة بـ"أم الإله" في الأوساط المسيحية هي مريم العذراء أمّ المسيح، فهي التي وُجّه إليها هذا الدّعاء، طلبا منها أن لا تترك المسيحيين حال المصائب والشّدائد بدون أن تستجيب لهم، فالمسيحيون في آخر القرن الثالث كانوا يعتقدون أنّ مريم العذراء قادرة على استجابة الدّعاء ورفع الضّرر عن أتباعها، وأنّها يمكن لها أن تنزل عليها رحمتها وتنقذهم من الأخطار، وهذا تطوّر عقديّ كبير يُنبئ عن وقوع انحراف مخالف لما كان عليه المسيحيون الأوائل الذين كانوا لا يجيزون دعاء غير الله الأب أو المسيح الابن الواسطة الموصل إلى الأب، وفي هذه المرحلة الزمّنية انضمت إليهما مريم أمّ الإله على أنّها قادرة على استجابة الدّعاء ورحمة أتباعها ورفع الضّرر عنهم.

3.4. كتابات آباء الكنيسة عن مريم العذراء في القرن الثالث الميلادي

كتابات أهمّ آباء الكنيسة في القرن الثالث الميلاديّ مثل القديس ترتليان (ت 202م) والقديس أوريجينوس (ت 254م) وغيرهما ليس فيها الدّعوة إلى عبادة مريم ولا إلى تألمها، الذي ظهر في هذه الفترة هو إطلاق لقب "أمّ الإله" عليها، وهذا في آخر القرن الثالث الميلاديّ.

فأول عبادة قدّمت لمريم العذراء هي دعاء أو صلاة مباشرة لها، وهذا كان من قبل أحد المسيحيين العوام في نهاية القرن الثالث الميلادي، ولم يكن ذلك من قبل آباء الكنيسة أو علماء المسيحية.

4.4. كتاب راحة مريم (Book of Mary's Repose)

كُتبت تقاليد مسيحية كثيرة عن موضوع كيفية وفاة مريم ومصير جسدها وروحها بعد وفاتها، وهذه التقاليد تتفق غالبا على أنّ مريم توقّبت في أورشليم، وقد كان بعض تلاميذ المسيح حاضرا حينها، وأنّ المسيح هو من استلم روحها بعد أن فارقت جسدها، وأنّها رُفعت بجسدها وروحها إلى الجنّة، وأنّ اليهود أعداء لها.



أقدم هذه التّقاليد هو "كتاب راحة مريم" (*Book of Mary's Repose*)، وقد حُفظ كاملاً مترجماً باللّغة الجعزيّة (الإثيوبية الكلاسيكية) في مخطوطات تعود إلى القرن الرّابع عشر والخامس عشر، وكُتبت مقاطع منه باليونانية واللاتينية والسريانية وغيرها من اللّغات في مخطوطات أقدم منها زمناً تؤكّد لنا أصالة التّرجمة الجعزيّة، وأقدم هذه المقاطع هي ما ورد باللّغة السريانية التي تعود إلى أواخر القرن الخامس الميلادي، علماً أنّ أصلها باليونانية⁽¹⁹⁾، فيكون الكتاب يعود على أقصى تقدير إلى القرن الثالث أو الرّابع الميلادي⁽²⁰⁾.

يتحدّث كتاب راحة مريم عموماً عن نزول ملاك إليها وتبشيرها بموتها في غضون ثلاثة أيّام، وحين نزوله إليها اكتشفت مريم أنّ هذا الملاك هو ابنها المسيح، وقد أخبرها بأنّ بعد موتها، أي في اليوم الرّابع سيُرفع جسدها إلى الجنّة، وعلمها صلاة ودعاء سرّيّاً يقال بعد الموت كي ترفع الرّوح إلى الله، وحينما حان وقت موتها تلت مريم تلك الصّلاة السريّة فتوقّفت ونزل المسيح وأخذ روحها، ثمّ دفن التلاميذ جسدها إلى أن جاء المسيح إليه بعد أيّام وأمر بأخذه إلى الجنّة مع روحها⁽²¹⁾.

ومما ورد فيه وصف بطرس مريم للتلاميذ حين احتضراها قائلاً (كتاب راحة مريم 55): "... إذن، نور مصابيح أختنا مريم يملأ العالم ولن ينطفئ إلى آخر الأيّام، بحيث سيتلقّى أولئك الذين أرادوا نيل الخلاص المساعدة منها، وإذا تلقّوا صورة النور، فسيستلمون راحتها وبركتها"⁽²²⁾، وهذا النّص فيه الاعتقاد بأنّ مريم قادرة على مساعدة أتباعها ومنحهم الرّاحة والبركة وهي في السّماء بعد موتها، وهذا الاعتقاد فيها هو الذي دفع بالمسيحيين لدعائها والصّلاة لها.

ولمّا رفعت مريم إلى السّماء وفي حين زيارتها لجهنّم وأهلها، توسّل التلاميذ بها قائلين (كتاب راحة مريم 99): "يا مريم نحن نتوسّل بك... مريم سيّدتنا وأمّ سيّدنا، مريم ملكتنا توسّلي لابنك كي يعطينا بعض الرّاحة"⁽²³⁾، فهي هنا واسطة يُتضرّع إليها ويستشفع بها إلى ابنها كي يرفع الألام والعذاب عن أهل جهنّم، ولم يعتقد أصحابها أنّها هي القادرة على إنجائهم من العذاب.

5.4. الخلاصة

ظهرت العبادة لمريم لأول مرّة في التّاريخ المسيحيّ في القرن الثّالث عبر استغاثة أحد المسيحيّين بها كما ورد في البرديّة "تحت حفظك"، وكان اعتقاد بعض مسيحيّ هذه الفترة أنّ مريم قادرة على مساعدة أتباعها ومنحهم الرّاحة والبركة، وأنّها هي الشّفيعة التي يجوز التّوسّل بها لابنها كي يرفع عن الهالكين شيئاً من العذاب كما ورد في ليتورجيا القديس باسيليوس وفي كتاب راحة مريم.

5. عبادة مريم وتألّيفها في مصادر القرن الرّابع الميلاديّ

استمرّت الكتابات المسيحية الأبوكريفية وغيرها من طوائف مسيحية مختلفة في الظهور والانتشار في القرن الرابع الميلاديّ، وأهمّ ما كتب حول مريم العذراء في هذه الفترة هي الكتب الستّة الأبوكريفية حول رقاد مريم.

5.1. ستّة كتب أبوكريفية حول رقاد مريم

من أقدم الكتب الأبوكريفية القديمة التي تحدّثت بشكل متوسّع عن مريم وعبادتها هي ما يسمّى بـ"الكتب الستّة الأبوكريفية حول رقاد مريم" (*Six Books Dormition Apocryphon*)، وقد طبعت تحت اسم "رحيل سيّدتي مريم من هذا العالم" (*The Departure of My Lady Mary from this World*)، كانت تستعمل في هذه الكتب اللّيتورجيا، وقد وصلت إلينا عن طريق مخطوطات سريانية



تعود إلى القرن الخامس والسادس الميلاديّ، وهي محفوظة بأكملها في مخطوطات عربية وإثيوبية كذلك⁽²⁴⁾، وهي مترجمة عن أصلها الذي كتب باللّغة اليونانية، فتكون هذه الكتب قد كتبت في القرن الرابع الميلاديّ، أي قبل التّراجم السّريانية التي ظهرت في القرن الخامس⁽²⁵⁾.

وقد اشتهر مختصر لهذه الكتب السّنة باسم حديث عن الرّقاد (*Discourse on the Dormition*) في الكنائس اليونانية والسّلوفاينية وهو ينسب إلى القدّيس يوحنا اللاهوتي⁽²⁶⁾.

أهمّ ما ورد فيها فيما يخصّ مريم وعبادتها وتعظيمها ما يلي:

ورد في الكتاب الأوّل الدّعوة إلى الاحتفال بذكرى مريم ثلاث مرّات في السّنة، وأنّ الاحفال بذكرها هذا يُنزّل البركة ويصرف الضّرّاء عن أتباعها⁽²⁷⁾.

وجاء في الكتاب الثّاني ذهاب مريم إلى قبر المسيح للصلاة كلّ يوم إلى أن اشتكى اليهود بها إلى الرّومان، فتركت أورشليم وذهبت إلى بيتها في بيت لحم، ولمّا وصلت جاء التّلاميذ إليها قبل وفاتها على غمائم بأمر من الرّوح القدس للتّسليم عليها فقيلها يوحنا ويعقوب على ثديها وركبتها⁽²⁸⁾، وهذا يفيد تعظيم الرّب لها بإرسالها الرّوح القدس خاصّة لاستلام روحها وكذا تبجيل التّلاميذ لها.

ويذكر الكتاب الثّالث ذهاب ملك أورشليم إلى مريم طلبا منها أن تشفي ولده، ولمّا دخل عندها جثى على ركبتيه وعبدها (دعاها) وقال لها: "... المريض الذي يأتي إليك يجب أن تشفيه، أعبدك (أدعوك) يا سيّدي مريم. مدي يدك اليمنى وباركني

أنا وابني الوحيد... وادعو الأرواح التي لي في مدينة روما كي أعود إليهم بسلام وأراهم
وآتيك بالهدايا وأعبدك (أدعوك)."⁽²⁹⁾

تظهر مريم في هذا النصّ على أنّها الواسطة بين الله وخلقه، أي التي إذا دعت
استجاب الله لها، وهذا لقدرها وعظمتها، ونجد فيه جثي الركب لمريم وطلب الدعاء
منها مباشرة كما هو في أول النصّ الذي يُظهرها كأنّها قادرة على شفاء المرضى
بنفسها، إلا أنّ تكملة النصّ تبين لنا أنّها مجرد واسطة وشفيعة إلى الله، وهذا حينما
قال لها أن تدعو الأرواح التي في المدينة ولم يقل لها مباشرة ارحمهم وباركي فيهم.

والتوسّل بها وطلب الدعاء منها حتّى حين غيابها وفي حال احتضارها لطلب
الشفاء والنصرة كثير ومتكرر في الكتاب الثالث⁽³⁰⁾.

وجاء في الكتاب الرابع أنّ المسيح ابن مريم نزل حين احتضار مريم وجاء معه
كلّ المخلوقات في السّماء والأرض كي يعظّموا مريم ويبجلّوها، ومن بين هؤلاء آدم
وحواء ونوح وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وداود وغيرهم، كلّهم نزلوا وتعبدوا أمامها⁽³¹⁾،
وهذا دليل على أنّ مريم في هذا النصّ أعظم وأرفع من جميع الأنبياء والمخلوقات
لتعظيمهم لها.

وورد أنّ المسيح قال لمريم العذراء: "... وسأرحم كلّ من يدعو باسمك"⁽³²⁾،
ومن هنا أصبح الدعاء باسم مريم جائزا ومفيدا للمسيحيين؛ إذ به يُنزل المسيح
رحمته على أتباعه كما وعدّها بقوله، وبذلك ترفع الآلاء وتنزل البركات أيضا⁽³³⁾.

وقيل أنّ في الاحتفال بذكري مريم يقدّم المسيحيون الخبز لها ويقرؤون الكتاب
المقدّس بعهديه القديم والجديد ويقرؤون هذه الكتب السّنة⁽³⁴⁾.

ويتحدّث الكتاب الخامس عن رفع مريم إلى السّماء وتجوّلها في الجنّة، وأهمّ
ما ورد في ذلك أنّ الملائكة ومنهم جبرائيل وميكائيل يسجدون لمريم ويعبدونها ويصلّون



لها حينما دخلت إلى مدينة أورشليم الموجودة في الجنة، بل حتى النار والأمطار عبدتها، وحينما دخلت الباب الثاني عشر للمدينة عبدها الحواريون (التلاميذ) كذلك⁽³⁵⁾، وبعد عبادتهم لها سجدت هي لله الأب⁽³⁶⁾.

بعد هذا العرض لمحتويات الكتب الستة حول رقاد مريم وقفنا على جواز التوسّل بها وطلب الدعاء منها مباشرة، وأنها تقوم بمعجزات شفاء المرضى إجابة للعابدين ولها، وفيها جعل مريم أعظم من جميع الأنبياء والمخلوقات السماوية والأرضية، لدرجة أنّ الملائكة يعبدونها وهي في الجنة، وفيها أيضا الدعوة إلى الدعاء باسم مريم، وكون تلك هي الوسيلة لنزول رحمة المسيح على أتباعه، وكذا الدعوة إلى الاحتفال بذكرها وتقديم الخبز لها.

مما سبق يتبيّن لنا أنّ أوّل ظهور لطائفة تعبد مريم وتخصّها بالدعاء باسمها وبالاحتفال بذكرها وتقديم العبادات لها (كالخبز والسجود) كان في القرن الرابع الميلاديّ مع الكتب الستة حول رقاد مريم.

2.5. طائفة القوليريديانية (Kollyridianism)

ذكر الأسقف المسيحيّ إبيفانيوس السّلاميسي (ت 403م) في كتابه "باناريون" (*Panarion*) أنّه كانت هناك طائفة مسيحية في القرن الرابع الميلاديّ تعبد مريم العذراء على أنّها إلهة في رأيه وتسمّى بالقوليريديانية، وهي موجودة في شبه الجزيرة العربية، وطقوسها التي كانت تمارسها كتقديم الخبز لمريم في ذكرها⁽³⁷⁾ هي نفس ما ورد الكتب الستة، فيمكن أن تكون هي التي ذكرت فيها.

يقول إبيفانوس: "... لأتّي سمعت أنّ آخرين، وهم ممّن فقدوا أذهانهم بشأن موضوع العذراء القديسة، قد بذلوا قصارى جهدهم وبيذلون قصارى جهدهم في حالة من الجنون والحماقة ليحلّوها (أي مريم) محلّ الله"⁽³⁸⁾، أي سمع أنّ هناك طائفة تبذل كلّ جهدها كي تجعل مريم العذراء مكان الله الأعلى، تجعلها إلهة كاملة الألوهية كالله، يكمل قائلا: "لأنّهم يقولون إنّ بعض النساء التّراقيات (من تراقيا، أحد شعوب الهندوأوروبية) هناك في شبه الجزيرة العربية قد أدخلن هذا الهراء، وأنّهنّ يخبزن رغيفا باسم العذراء الدائمة..."⁽³⁹⁾، ومن ممارسات هذه الطائفة التي كانت تحاول الرّفْع من مقام مريم إلى الألوهية تقديم الخبز لها تعبداً. فهناك طائفة من التّراقيين في شبه جزيرة العرب كانت تعبد مريم وتسعى إلى جعلها مساوية لله وفي مكانته ومقامه.

وقد أقرّ المستشرق الإنجليزي جورج سيل (George Sale) (ت 1736م) بهذه الحقيقة (أي بوجود طائفة مسيحية في جزيرة العرب قد ألّهمت مريم) في ترجمته الإنجليزية للقرآن الكريم إذ يقول: "كان من بين العرب هرطقات إبيون وبريلوس والنّاصريين، وكذلك هرطقة القوليريديانيين التي تمّ عرضها أو تكاثرها، وهذه الأخيرة (القوليريديانية) قدّمت العذراء مكان الله، أو عبدوها كأنّها الله ويقدمون لها نوعاً من الكعك تسمّى القوليريد، ومنها جاء اسم الطائفة."⁽⁴⁰⁾

ويضيف معلومة أخرى جديدة لم نقف عليها في المصادر المسيحية فيقول: "هذا المفهوم لألوهية مريم العذراء قد آمن به البعض في مجمع نيقية (سنة 325م)، وهم الذين قالوا أنّ هناك إلهين بجانب الأب، السيّد المسيح ومريم العذراء، وسمّيت هذه الطائفة بالمريميّة."⁽⁴¹⁾

3.5. كتابات آباء الكنيسة عن مريم العذراء في القرن الرابع الميلادي



أما آباء الكنيسة في هذا الزّمن (القرن الرّابع الميلادي) فمعظمهم لم يركّزوا بحثهم عن مسألة عبادة مريم ولا ورد منهم تقديم العبادة لها، وإنّما غاية نقاشاتهم كانت في تسميتها بأُمّ الإله وبحث مسألة دوام عذريّتها وعصمتها وغيرها من المسائل العقديّة غير التّعبدية⁽⁴²⁾.

4.5. الخلاصة

ظهرت طائفة مسيحيّة تعبد العذراء وتقيم الأعياد من أجلها وتقدّم العبادة لها في القرن الرّابع الميلادي، ولم يكن لآباء الكنيسة لكثير دخل في هذه المسألة، بل كانت بدايتها من المسيحيّين العوام.

6. عبادة مريم وتألّفها في مصادر القرن الخامس الميلادي

استمرّ الاعتقاد في القرن الخامس الميلاديّ بشفاعة مريم العذراء للمؤمنين وبإمكان استجابتها للدّعاء لقرب مكانتها من الآب والمسيح، واستمرّ بعض المسيحيّين بإقامة احتفالات وأعياد لذكورها، من أشهرها عيد العذراء الذي كان يُقام كلّ سنة، وأهمّ من تكلم عن هذا العيد بل وخطب ووعظ النّاس وتكلّم لهم فيه عن العذراء هو القدّيس بروكلس (ت 446م) في عظته التي ألقاها سنة 430م مع حضور نسطور (ت 450م) المنكر للقب أمّ الإله الذي كان يطلقه كثير من الآباء على مريم⁽⁴³⁾.

1.6. مجمع أفسس 431م

لمّا ظهر نسطور المنكر للقب أمّ الإله في بداية القرن الخامس الميلادي، دفع هذا بكثير من آباء الكنيسة كي يبحثوا هذه المسألة بعمق، وكان موقف الأغلبية منهم قبوله ورفض رأي نسطور المنكر له، ومن أجل هذا الخلاف الحاصل في طبقة العلماء

تدخّل الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني (ت 450م) فأراد حسم هذه المسألة بتنظيم مجمع مسكونيّ لحلّها سنة 431م في أفسس⁽⁴⁴⁾.

وقد انتفض المسيحيّون الذين كانوا يعبدون مريم ويتوسّلون بها ويدعونها ويحتفلون بذكراها على نسطور وأتباعه، فقرّر المجمع بجواز تلقيب مريم بأُمّ الإله وتمّ إدانة نسطور وأتباعهم وحرمانهم⁽⁴⁵⁾.

وهكذا انتقل تعظيم مريم من عوامّ المسيحيّين الذين كانوا يُقدّمون العبادة لها ويتوسّلون بها ويطلبون الدّعاء منها ويحتفلون بذكراها إلى آباء الكنيسة الذي أقرّوا بعظمتها وبكونها أمّ الإله.

2.6. مجمع خلقيدونية 451م

انتشر القول بتعظيم مريم والرّفْع من مقامها بعد مجمع أفسس إلى درجة العبادة بين جميع المسيحيّين في معظم الأقطار، وكان المجمع بمثابة المقرّر لصحّة أفعال المسيحيّين العوامّ التي كانوا يمارسونها تجاهها؛ لهذا استمرّ المسيحيّون في عبادة مريم بالسّجود وتقديم الطّعام وطلب الدّعاء والشّفاة والاستغاثة بها وغيرها من أنواع العبادات، بل تعاضم الأمر أكثر ممّا كان عليه سابقا، خاصّة بعد قرارات مجمع خلقيدونية سنة 451م الذي يعتبر تكملة لمجمع أفسس⁽⁴⁶⁾.

وبعد المجمعين (نيقية وخلقيدونية) بقرنين من الزّمان، لمّا رأى كثير من علماء المسيحية الإنحراف العقدي الذي قد يؤدّي إشراك مريم بالله وجعلها في مقامه، قاموا بالتفريق بين كلمة "دوليا" (doulia) التي تعني الإكرام وكلمة "عبادة" (latreia) التي تعني تقديم العبادة لله وحده، وكان ذلك سنة 787م في مجمع نيقية الثاني⁽⁴⁷⁾، وبهذه التّفارقة في الاسم اعتقدوا أنّ هذا يخرجهم من إشراكهم الله بمريم العذراء.



7. الخاتمة والنتائج

بعد عرضنا لأهمّ النصوص المسيحية التي تحدّثت عن مريم وعبادتها وتألّمها في مختلف المصادر المسيحية التي كتبت من القرن الأول إلى القرن الخامس الميلاديّ، يمكن أن نلخص ما توصّلنا إليه فيما يلي:

أولاً: عدم ورود اسم مريم في رسائل بولس وإنجيل مرقس، ممّا يؤكّد عدم اهتمام المسيحيين الأوائل بها، وقد بدأ الحديث عنها بذكر شيء من كيفية ولادتها للمسيح ومشاركتها له في تبشيره في الأناجيل متى ولوقا يوحنا التي كتبت في نهاية القرن الأول الميلاديّ، دون أيّ إشارة منهم إلى عبادتها أو تألّمها.

ثانياً: نصوص القرن الثاني الميلاديّ تشبه ما جاء في أسفار العهد الجديد بأنّها نصوص وصفية، تصف مريم من غير ذكر لعبادتها أو استحقاقها لذلك، فقد أطلق عليها بأنّها كثيرة الرّحمت كما في أناشيد سليمان، وأنّ اسمها سيُعظّم في كلّ الأجيال كما في إنجيل يعقوب التّمهيديّ، وأنّها هي حواء الجديدة وسبب الخلاص كما في أقوال القديس إيرينيوس.

ثالثاً: أول نصّ مسيحيّ ورد فيه تقديم العبادة لمريم بالصلاة المباشرة لها هو ما جاء في البردية المسماة بـ"تحت حفظك" التي تعود إلى نهاية القرن الثالث الميلاديّ، وهذا فيه ردّ على من أنكر عبادة المسيحيين لمريم، وعلى من قال أنّ عبادتها ظهرت بعد مجمع أفسس سنة 431م أو مجمع خلقدونية 451م، وهو موافق للقرآن الكريم على تفسير من شرح قوله تعالى: ﴿جَدُّ ذُرِّيَّتِي ذُرِّيَّتِي﴾، "أي معبودين تعبدونهما"⁽⁴⁸⁾،

وهذا المعنى للإله معهود ومستعمل في القرآن كقوله تعالى: جَابِبُ بِرٍ بِرٍ
(الجنائية: 23).

وظهر أيضا في نفس هذه الفترة (القرن الثالث) كتاب راحة مريم الذي فيه
الاعتقاد أنّ مريم قادرة على إنزال الرّحمة والبركة على أتباعها، والاعتقاد أنّها شفيعه
للمسيح فيجوز التّوسّل بها في الدّعاء.

رابعا: استمرّ القول بجواز التّوسّل بمريم وطلب الدّعاء منها في أهمّ مصدر
كُتب حولها في القرن الرابع الميلاديّ وهو "الكتب الستّة حول رقاد مريم"، والذي
أضافته هو الاعتقاد بقيامها بالمعجزات لشفاء المرضى، وأنها أعظم من جميع الأنبياء
والمخلوقات، وأنّ الحواريّين والملائكة يعبدونها ويسجدون لها، وورد فيها الأمر
بالاحتفال بذكرها وتقديم الطّعام لها.

وفي هذه الفترة (القرن الرابع) ظهرت طائفة مسيحية في شبه جزيرة العرب
تسمّى بالقوليريديانيّة، وهي تجعل مريم العذراء إلهة مكان الله وتقدّم لها كلّ أنواع
العبادة، وقد تكون هي الفرقة التي قصدها الله تعالى بقوله: چدّ ڈ ڈ ڈ ڈ ژرچ،
وبهذا يكون القرآن صادقا غير مخطئ كما يقول بعض المسيحيّين.

خامسا: انتقل تعظيم مريم وعبادتها والاحتفال بذكرها من عوامّ المسيحيّين
إلى علماءها بفضل مجمع أفسس سنة 431م الذي انتصر للقب أمّ الإله الذي يطلق
عليها ضدّ منكريه، وهو ما أُكّد عليه أيضا في مجمع خلقدونية سنة 451م، ومن تلك
الفترة استمرّ المسيحيّون في عبادة مريم إلى مجمع نيقية سنة 787م الذي تمّ فيه
التّفريق بين عبادتها وعبادة الله بوضع اصطلاح خاصّ بكلّ منهما.

فتطوّر عبادة مريم العذراء وتأليها مهّد له بداية بتعظيم شأنها، وذلك بجعلها
مشاركة مع المسيح في دعوته، ثمّ في إطلاق أوصاف التّعظيم عليها كقولهم بأنّها كثيرة



الرَّحْمَاتِ، وَأَتَمَّ حَوْاءَ الْجَدِيدَةِ وَسَبَبَ خِلاصَ الْبَشَرِيَّةِ، وَالتَّنَبَّأَ أَنَّ جَمِيعَ الْأَجْيَالِ سَيُعْظَمُ اسْمُهَا.

فِي بَدَايَةِ الْقَرْنِ الثَّلَاثِ بَدَأَتْ حَقًّا بَعْضَ الْأَجْيَالِ تَنَادِي بِاسْمِ مَرْيَمَ، فَظَهَرَ ذَلِكَ جَلِيًّا فِي الْبَرْدِيَّةِ الَّتِي فِيهَا الدَّعَاءُ وَالصَّلَاةُ الْمُبَاشِرَةُ لَهَا، مَعَ الْإِعْتِقَادِ بِأَنَّهَا قَادِرَةٌ عَلَى الرَّحْمَةِ وَالْبَرَكَةِ.

ثُمَّ ظَهَرَتْ طَائِفَةٌ الْقَوْلِيْبُرْدِيَانِيَّةِ فَزَادَتْ عَلَى ذَلِكَ بِالْأَمْرِ بِالْإِحْتِفَالِ بِذِكْرَاهَا وَتَقْدِيمِ الطَّعَامِ لَهَا، وَالْإِعْتِقَادِ بِأَنَّهَا أَعْظَمُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَجَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ، بَلْ وَجَعَلَهَا إِلَهَةً مَكَانَ اللَّهِ يَسْجُدُ لَهَا وَيُعْبَدُهَا كُلٌّ مِنْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ.

8. قائمة المصادر والمراجع

أبرص، ميشال وعرب، أنطوان. مدخل إلى المجمع المسكونية. في سلسلة تاريخ المجمع المسكونية الكبرى 1. بيروت: المكتبة البولسية، 1996م.

أناشيد سليمان. في الآباء الرسوليون: النصوص المسيحية في العصور الأولى. ترجمة: أحد رهبان دير القديس الأنبا مقار. مصر الجديدة: مركز باناريون للتراث الأبائي، 2019م. ص. 443-509.

إنجيل يعقوب التمهيدية. في الأناجيل المنحولة. ترجمة: اسكندر شديد. تقديم ومراجعة: جوزف قزي والياس خليفة. غوسطا: دير سيده النصر، 2004م. ص. 31-48.

الطبري، محمد بن جرير. جامع البيان عن تأويل آي القرآن. تحقيق: عبد الله التركي. القاهرة: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 2001م.

عبد الفادي، عبد الله. هل القرآن معصوم؟.PDF.

عبد المسيح، حنين. بدعة تأليه العذراء وعبادتها في الكنيسة الأرثوذكسية. 2009م.
.PDF

القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع.

الكتاب المقدس: أي كتب العهد القديم والعهد الجديد، الترجمة العربية المشتركة
من اللغات الأصلية مع الكتب اليونانية من الترجمة السبعينية. العهد
القديم، الإصدار الثاني، ط. 4. لبنان: جمعية الكتاب المقدس، 1995م.
العهد الجديد، الإصدار الرابع، ط. 30. لبنان: جمعية الكتاب المقدس،
1993م.

ماكجوين، جون. كيرلس الإسكندري والجدل الكريستولوجي: تاريخه، لاهوته
ونصوصه. ترجمة: الزاهب أغاثون الأنطوني. القاهرة: دار الراعي الصالح،
2019م.

Constas, Nicholas. *Proclus of Constantinople and the Cult of the Virgin in Late Antiquity: Homilies 1 to 5, Texts and Translation*. Boston: Brill, 2003.

Gambero, Luigi. *Mary and the Fathers of the Church: The Blessed Virgin Mary in Patristic Thought*. Translated by Thomas Buffer. San Francisco: Ignatius Press, 1999.

Irenæus. *Against Heresies* 1, 2, 3, 4, 5. In *Ante-Nicene Fathers: The Writings of the Fathers Down to A.D. 325*, edited by Alexander Roberts and James Donaldson, vol. 1, pp. 315-460, 462-567. 1885. Reprinted in Massachusetts: Hendrickson Publishers, 1994.



- Jasper, R. C. D. and Cuming, G. J. *Prayers of the Eucharist: Early and Reformed*, 3rd ed. New York: Pueblo Publishing Company, 1987.
- Pentcheva, Bissera V. *Icons and Power: The Mother of God in Byzantium*. Pennsylvania: The Pennsylvania State University Press, 2006.
- Roberts, C. H., ed. *Catalogue of the Greek and Latin Papyri in the John Rylands Library Manchester*. Vol. 3. Manchester: Manchester University Press, 1938.
- Sale, George. *The Koran: Commonly Called The Alkoran of Mohammed*. London: George Routledge and Sons, 1895.
- Shoemaker, Stephen J. "Epiphanius of Salamis, the Kollyridians, and the Early Dormition Narratives: The Cult of the Virgin in the Fourth Century". In *Journal of Early Christian Studies*. Vol. 16, issue 3. Baltimore: Johns Hopkins University Press, 2008, pp. 371-401.
- . *Ancient Traditions of the Virgin Mary's Dormition and Assumption*. New York: Oxford University Press, 2004.
- Williams, Frank, trans. *The Panarion of Epiphanius of Salamis*, books 2 and 3, 2nd rev. ed. In *Nag Hammadi and Manichaean Studies*. Edited by Johannes van Oort and Einar Thomassen. Vol. 79. Boston: Brill, 2013.
- Wright, William, ed. *The Departure of My Lady Mary from This World*. In *The Journal of Sacred Literature and Biblical Record*. Edited by B. Harris Cowper. Vol. 7, pp. 129–160. London: Williams and Norgate, 1865.

9. الهوامش

(¹) عبد الله عبد الفادي، هل القرآن معصوم؟، ص. 40، PDF.

(²) حنين عبد المسيح، بدعة تأليه العذراء وعبادتها في الكنيسة الأرثوذكسية

(2009م)، ص. 52-53، PDF.

(³) Bissera V. Pentcheva, *Icons and Power: The Mother of God in Byzantium* (Pennsylvania: The Pennsylvania State University Press, 2006), p. 16.

(⁴) ينظر: أناشيد سليمان، ترجمة: أحد رهبان دير القديس الأنبا مقار، في الآباء الرسوليّون:

التصوص المسيحية في العصور الأولى (مصر الجديدة: مركز باناريون للتراث الآبائي، 2019م)، ص. 445-446.

(⁵) أناشيد سليمان، ص. 478.

(⁶) ينظر: أناشيد سليمان، ص. 479.

(⁷) ينظر: إنجيل يعقوب التمهيدّي في الأناجيل المنحولة، ترجمة: اسكندر شديد، تقديم

ومراجعة: جوزف قزي والياس خليفة (غوسطا: دير سيّدة النّصر، 2004م)، ص. 31-32.

(⁸) ينظر: إنجيل يعقوب التمهيدّي، ص. 33.

(⁹) إنجيل يعقوب التمهيدّي، ص. 34.

(¹⁰) إنجيل يعقوب التمهيدّي، ص. 35.

(¹¹) إنجيل يعقوب التمهيدّي، ص. 36.

(¹²) إنجيل يعقوب التمهيدّي، ص. 36.

(¹³) Irenæus, *Against Heresies* 3.22.4, in *Ante-Nicene Fathers*, vol. 1, p. 445.

(¹⁴) Irenæus, *Against Heresies* 5.19.1, in *Ante-Nicene Fathers*, vol. 1, p. 547.



(¹⁵) R. C. D. Jasper and G. J. Cuming, *Prayers of the Eucharist: Early and Reformed*, 3rd ed. (New York: Pueblo Publishing Company, 1987), p. 67.

(¹⁶) Jasper and Cuming, *Prayers of the Eucharist*, p. 72.

(¹⁷) C. H. Roberts, ed., *Catalogue of the Greek and Latin Papyri in the John Rylands Library Manchester*, vol. 3 (Manchester: Manchester University Press, 1938), p. 46.

(¹⁸) Roberts, *Catalogue of the Greek and Latin Papyri*, vol. 3, p. 47.

ما بين قوسين ورد في غير هذه المخطوطة.

(¹⁹) Stephen J. Shoemaker, *Ancient Traditions of the Virgin Mary's Dormition and Assumption* (New York: Oxford University Press, 2004), pp. 32-37.

(²⁰) Shoemaker, *Ancient Traditions of the Virgin Mary's Dormition and Assumption*, pp. 42-46, 254-256.

(²¹) Shoemaker, *Ancient Traditions of the Virgin Mary's Dormition and Assumption*, pp. 37-38.

(²²) Shoemaker, *Ancient Traditions of the Virgin Mary's Dormition and Assumption*, p. 321.

(²³) Shoemaker, *Ancient Traditions of the Virgin Mary's Dormition and Assumption*, p. 345.

(²⁴) Shoemaker, *Ancient Traditions of the Virgin Mary's Dormition and Assumption*, p. 46.

(²⁵) Stephen J. Shoemaker, “Epiphanius of Salamis, the Kollyridians, and the Early Dormition Narratives: The Cult of the Virgin in the Fourth Century”, in *Journal of Early Christian Studies*, vol. 16, issue 3 (Baltimore: Johns Hopkins University Press, 2008), pp. 398-401.

(²⁶) Shoemaker, *Ancient Traditions of the Virgin Mary’s Dormition and Assumption*, p. 51.

(²⁷) Wright, *The Departure of My Lady Mary from This World 1*, p. 132.

(²⁸) William Wright, ed., *The Departure of My Lady Mary from This World 2*, in *The Journal of Sacred Literature and Biblical Record*, ed. B. Harris Cowper, vol. 7 (London: Williams and Norgate, 1865), pp. 136, 138.

(²⁹) Wright, *The Departure of My Lady Mary from This World 3*, p. 146.

(³⁰) Wright, *The Departure of My Lady Mary from This World 3*, pp. 141-142, 146-149.

(³¹) Wright, *The Departure of My Lady Mary from This World 4*, pp. 150-151.

(³²) Wright, *The Departure of My Lady Mary from This World 4*, p. 152.

(³³) Wright, *The Departure of My Lady Mary from This World 4*, pp. 151-152.

(³⁴) Wright, *The Departure of My Lady Mary from This World 4*, p. 153.

(³⁵) Wright, *The Departure of My Lady Mary from This World 5*, p. 157.



⁽³⁶⁾ Wright, *The Departure of My Lady Mary from This World* 5, p. 158.

⁽³⁷⁾ Frank Williams, trans., *The Panarion of Epiphanius of Salamis* 79. 1. 7, books 2 and 3, 2nd rev. ed., in *Nag Hammadi and Manichaean Studies*, eds. Johannes van Oort and Einar Thomassen, vol. 79 (Boston: Brill, 2013), p. 637.

⁽³⁸⁾ Williams, *The Panarion of Epiphanius of Salamis* 78. 23. 3, pp. 634-635.

⁽³⁹⁾ Williams, *The Panarion of Epiphanius of Salamis* 78. 23. 4, p. 635.

⁽⁴⁰⁾ George Sale, *The Koran: Commonly Called The Alkoran of Mohammed* (London: George Routledge and Sons, 1895), p. 27.

⁽⁴¹⁾ Sale, *The Koran*, p. 27.

⁽⁴²⁾ Luigi Gambero, *Mary and the Fathers of the Church: The Blessed Virgin Mary in Patristic Thought*, trans. Thomas Buffer (San Francisco: Ignatius Press, 1999).

⁽⁴³⁾ Nicholas Constas, *Proclus of Constantinople and the Cult of the Virgin in Late Antiquity: Homilies 1 to 5, Texts and Translation* (Boston: Brill, 2003), pp. 136-147.

⁽⁴⁴⁾ ينظر: جون ماكجوين، كيرلس السكندري والجدل الكريستولوجي:

تاريخه، لاهوته ونصوصه، ترجمة: الزاهب أغاثون الأنطوني (القاهرة: دار الزاعي الصّالح، 2019م)، ص. 71.

⁽⁴⁵⁾ ينظر: ماكجوين، كيرلس السكندري والجدل الكريستولوجي، ص. 117.

(⁴⁶) ينظر: ميشال أبرص وأنطوان عرب، مدخل إلى المجامع المسكونية، في سلسلة تاريخ المجامع المسكونية الكبرى 1 (بيروت: المكتبة البولسية، 1996م)، ص. 78.

(⁴⁷) ينظر: أبرص وعرب، مدخل إلى المجامع المسكونية، ص. 78.

(⁴⁸) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله التركي (القاهرة: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 2001م)، ج. 9، ص. 136.